الطبعة الثانية

عقيدة الشيعة

تأصيل وتوثيق من خلال سبعين رسالة اعتقادية
من القرن الثاني لغاية القرن العاشر الهجري

جمع و تحقيق و تقديم
الشيخ محمد رضا الأنصاري القمي

٧

التذكرة للأصول الخمسة

الصاحب إسماعيل بن عبَّاد بن العباس الأصفهاني (٣٨٥ ـ ٣٢٦ هـ)

۞ مؤلّف هذه الرسالة الاعتقادية عَلَمٌ من أعلام الفكر الإسلامي في القرن الرابع الهجري، وهو أشهر من أن يُعرّف وأعرف من أن يُترجم له، وقد ترجمه كلّ من كتب عن القرن الرابع الهجري، عصر دولة البويهيين الذى يعدّ من القرون الحافلة والمجيدة في تاريخ الفكر الإسلامي.

قال النديم في «الفهرست»: (أبوالقاسم بن عبّاد أوحد زمانه، وفريد عصره في البلاغة والفصاحة والانشاء، وله من الكتب...)[١]

وقال الزركلي: (الصاحب بن عبّاد، إسماعيل بن عبّاد بن العباس، أبوالقاسم الطالقاني، وزير غلب عليه الأدب فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتدبيراً وجودة رأى، استوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمي ثمّ أخوه فخر الدولة، ولُقّب بالصاحب لصحبة

١. الفهرست: ١٥٠، ط تجدد

مؤيد الدولة من صباه، فكان يدعوه بذلك، ولد في الطالقان من اعمال قزوين وإليها نسبتة، وتوفي بالري ونقل إلى اصبهان فدفن فيها، له تصانيف جليلة...)[١]

وقال الشيخ آقا بزرگ الطهراني: (إسماعيل بن عباد بن عباس بن احمد بن ادريس الطالقاني الوزير، كافي الكفاة أبوالقاسم، الصاحب، صاحب «المحيط» و«الجوهرة» في اللغة، أخذ الأدب عن ابن فارس وابن العميد، عدّه ابن شهرآشوب من الشعراء المجاهرين، وفي «كامل البهائي» له عشرة الأف بيت في أهل البيت، وقد ألّف «عيون أخبار الرضا» في شرح أحد قصائده، وألّف الثعالبي «يتيمة الدهر» في احواله واحوال شعرائه. وتوفي في صفر ٣٨٥ هـ وكانت ولادته ٣٢٦ كما في (طالقان) من «معجم البلدان»....

وترجم له في «معجم الأدباء» في ١٤٩ صفحة... ولأجله ألّف الحسن بن محمّد بن الحسن القمى: كتاب «تاريخ قم» سنة ٣٧٨هـ وأطراه في أوله في سبع صحائف...)[٢]

وقال عنه فؤاد سزگين: (هو أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد الطالقاني، ولد سنة ٣٢٤ / ٩٣٦ وقيل ٣٢٦ باصطخر وقيل بطالقان ـ وكان أبوه وزيراً لركن الدولة، واشتغل بالأدب، وألّف أيضاً كتاب «احكام القرآن» ـ تلقى إسماعيل أول دروسه على يد أبيه، ثمّ رحل إلى بغداد حيث واصل دروسه عند احمد بن فارس وأبي الفضل ابن العميد، وعمل كاتباً لهذا الأخير، إلّا أنّه لم يلبث بعدها أن كتب لمويّد الدولة أخي عضد الدولة، وأخيراً خلّف الوزير ابن العميد، وبقي في هذالمنصب حتى وفاته سنة ٣٨٥ / ٩٩٥. وكان الصاحب بن عبّاد كأبيه معتزلياً، والى جانب نجاحه في الاضطلاع بوظيفته فقد كان أديباً أيضاً، ولغوياً نابهاً وروى الحديث، ونظم الشعر)[٣]. ثمّ عدّد مصادر ترجمته والمؤلّفات المفردة عن حياته، وهي:

١ ـ أحوال الصاحب الكافى إسماعيل بن عبّاد، لأبى القاسم احمد بن محمّد القوپائي الحسينى ط في طهران سنة ١٩٠٧ و١٩٣٣.

١. الاعلام: ج ١ / ٢١٦ ط درالعلم للملايين
٢. طبقات أعلام الشيعة: القرن الرابع: ص ٦٢.
٣. تاريخ التراث العربى: مج ٨ علم اللّغة، ص ٣٧٢

٢ ـ الصاحب بن عبّاد، لخليل مردم ط في دمشق سنة ١٩٣٢.

٣ ـ الصاحب بن عبّاد، حياته وأدبه، للشيخ محمّد حسن آل ياسين، بغداد ١٩٥٧ ثمّ ذكر قائمة بمصنّفاته.

و أيضاً كتب عنه بالتفصيل العلّامة السيّد محسن أمين العاملي في «أعيان الشيعة»[1]، حيث يعدّ ترجمته له عبارة عن رسالة أدرجها في الكتاب وتستحقّ أن تطبع مستقلة، فقد توسّع في ترجمتة وتحدّث عن جميع جوانب حياته العلميّة والسياسية والدينيّة، وأورد قصائده وأشعاره.

وأمّا قصائده فقد قام بجمعها جماعة من القدماء منهم الثعالبي في «يتيمة الدهر»، وأمّا من المتأخّرين فأوّل من بادر بجمع أشعاره هو الشيخ محمّد السماوي ﷺ، ثّم تلاه الشيخ محمّد حسن آل ياسين ﷺ باستدراك مافات الأوّل، فجمع معظم أشعاره ـ عدا طائفة من اشعاره التي ورد فيها ذم معاوية وبني اُميّة وبعض الظالمين، فلم يدخلها في ديوانه للظروف التي كانت تحيط بالعراق أنذاك ـ وطبعها ببغداد، ثمّ تلتها طبعة اُخري بقم سنة ١٤١٢ هـ

أقول : هنا عدّة أمور ينبغي الإشارة إليها والبحث عنها:

١ – مولده : فقد اتفقت المصادر جميعها على أنّ الصاحب ﷺ مولود في طالقان من اعمال مدينة قزوين الشهيرة، وهو خطألم يتنبه إليه المترجمون للصاحب، وأظنّ أنّ الصحيح أنّه مولود بناحية تسمّى (طالخونچة) من أعمال مدينة اصفهان، ثمّ حرّفت الكلمة على ألسن عامّة الناس من اسمها الأصلي إلى (طالقون) فـ (طالقان) ومن ثَم نُسب الرجل إلى منطقة طالقان المشهورة والواقعة في شمال شرق مدينة قزوين، ومن أقوى الشواهد على ذلك ـ فضلاً عن ورود النصّ به ـ أنّ الصاحب توفي بالرّى وكان قد أوصى أن يدفن في مسقط رأسه في القرية المذكورة، فحملت جنازته من الرّى ونقلت إلى ٤٠٠ كيلاً تبعد عنها إلى الجنوب ودفن فيالقرية المذكورة حيث ضمتّها مدينة اصفهان لا حقاً، ولا زال قبره موجود فيها، وعليه بناء وقبة عالية وضريح عامر، تزوره

١. اعيان الشيعة: ج ٤ / ص ١٧٨ ـ ١١٠م.

عامّة الناس، و عليه فالرجل اصفهاني وليس بطالقاني أو قزويني

٢ – مذهبه : نسب جميع المترجمين ـ سواءٌ الشيعة منهم أو غيرهم ـ الصاحب الى التشيّع، ويدّل على تشيّعه شواهد كثيرة، منها علاقته الحميمة مع امراء آل بويه واستيزارهم له، ومنها علاقته بعلماء الشيعة في عصره منهم الشيخ الصدوق الذى ألّف بطلب منه كتابه الشهير «عيون أخبار الرضا» وجاء في مقدمته: (وقع الىّ قصيدتان من قصائد الصاحب الجليل كافي الكفاة أبى القاسم إسماعيل بن عبّاد أطال الله بقاءه، وأدام دولته ونعمائه وسلطانه وعلاه في اهداء السلام إلى الرضا عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن أبي طالب عليهم السلام، فصّنفت هذا الكتاب لخزانته المعمورة ببقائه، إذ لم أجد شيئاً آثر عنده وأحسن موقعاً لديه من علوم أهل البيت عليهم السلام لتعلّقه بحبهم وتمسّكه بولايتهم: واعتقاده بفرض طاعتهم، وقوله بامامتهم ، واكرامه لذريتهم...)[1] ثمّ ذكر له قصيدتين طويلتين في مدح الإمام الرضا، مطلع الأوّل منهما:

يا سائراً زائراً إلى طوسِ مشهد طهرٍ وأرض تقديس

أبلغ سلامي الرّضا وحطّ على أكرم رمس لخير مرموس

ومطلع الثاني منهما:

يا زائراً في نهضا مبتدراً قد ركضا

و قد مضى كأنّه البرق إذا ما أومضا

أبلغ سلامي زاكياً بطوسِ مولاى الرّضا

سبط النبيّ المصطفى و ابن الوصي المرتضى

ومنها الكلمة المشهورة المنسوبة إلى القاضي عبدالجبار المعتزلي، حيث قال بعد وفاة الصاحب: (كيف أصلّي على هذا الرافضي) فهو أعرف من غيره بعقيدته ومذهبه لأنّه تربّى تحت رعايته، وتنعم بخيراته وكرمه وفضله، وأكل من زاده كثيراً حتّى أتخم، وألّف كتبه في الرّد على الشيعة مستغلاً سماحته وسعة صدره المشهورة. والأهمّ من جميع هذه الأمور والشواهد ، قصائده وأشعاره التي تنمّ عن تشيّعه الإمامي الانثي

١. عيون أخبار الرضا: ص ١٢ ط منشورات الشريف الرضي

عشري، واليك نتفاً منها وهي صريحة في ولاءه للائمة عليهم السلام:

يـــا زائـــراً قـــد قـــصد المشـــاهدا وقـــــطع الجـــبال والفـــدافـــدا
فـــــابلغ النـــبيّ مـــن ســـلامي مـــــا لا يَـــــبيدُ مـــدّة الايّـــام
حـــــتى إذا عُـــدتَ لأرض الكـــوفة البـــــلدة الطـــاهرة المـــعروفة
و صرتَ في الغريّ فـي خـير وطـن سلّم على خير الوري أبي الحسـن
ثـــمَّتَ سِـــرْ نـــحو بـقيع الغـرقد مســـــلّماً عـــلى أبـــي مـــحمّد
و عُـــد إلى الطّـــف بكـــر بـــلاء أهـــد ســـلامي أحســـن الاهـداء
لخـــير مـــن قـد ضَـمَّه الصـعيدُ ذاك الحســـين الســـيّد الشـــهيد
وأجـــنب إلى الصـــحراء بـــالبقيعِ فـــــثمَّ أرضُ الشـــرفِ الرفـــيعِ
هـــناك زيـــن العـــابدين الأزهـــر وبـــــاقر العـــلم وثـــمّ جـــعفر
أبـــلغهمُ عـــني الســـلام راهـــنا قـــد مـــلاء البـــلاد والمـــواطـنا
وأجـــنب إلى بـــغداد بُـعد العـيسا مســـلّماً عـــلى الزكـــي مـــوسى
و أعجل إلى طوس على أهدى سكن مـــبلّغاً تـــحيّتي أبـــاالحســـن
وعْـــد لبـــغداد بـــطيرٍ أســـعد ســـلّم عـــلى كـنز التُـقى مـحمّد
وأرض ســـــامراء أرض العسكـــر ســـــلّم عـــلى عـــليٍّ المـــطهَّر
والحســـن الرضـــي فـــي أحـــواله مَـــن مـــنبعُ العـــلوم فـــي أقـــواله
فـــــانّهم دون الانـــــام مـــفزعي و مَن إليهم كـلّ يـومٍ مـرجـعي[1]

وأيضاً له يمدح الائمة ألانثي عشر عليهم السلام:

بـــمحمدٍ ووصـــيّه وابـــنيهما الطـــــاهرين وســـيّد العُـــبّادِ
ومـــحمدٍ وبـــجعفر بـــن مـــحمدٍ وسمّي مبعوثٍ بشـاطي الوادي
وعـــلـيّ الطـوسي ثـمّ مـحمدٍ وعـليّ المسـموم ثـمّ الهـادي
حســـنٍ وأتـــبع بـعده بـامامةٍ للـقائم المـبعوث بـالمرصاد[2]

١. ديوان صاحب بن عباد: ٢٠٧ ـ ٢٠٦.
٢. ديوان صاحب بن عباد: ٤٠٤

وعليه فما قيل في حقّه﵀ أنّه (شافعي المذهب شيعي النحلة)[١] ، أو (أنّه حشويّ)[٢] ، أو (يتشيّع لمذهب أبي حنيفة ومقالة الزيديّة)[٣] فشطط من القول، وجمع بين المتناقضات، فضلاً عن أن أشعاره في ديوانه تنفي هذه الأقول، يقول ﵀ في مطلع إحدى قصائده:

أنا رجلٌ يرميني الناس بالرفض...[٤]

ويقول أيضاً في غيرها:

فكم قد دعونى رافضاً لحبكم فلم يثنني عنكم طويل عدائهم[٥]

و أمّا نسبته إلى الاعتزال : فلا تنافي بين الاعتقاد بالتشيّع والاعتزال، فهما متفقان في بعض الأصول العقلية كالتوحيد والعدل، ومختلفان في الإمامة (راجع تفصيل ذلك في مجلة تراثنا: مقاله الكلام عند الإماميّة، للشيخ محمّدرضا الجعفري، العدد ٣٠، ص٢٩٨ ـ ١٤٤) وقد صرّح الصاحب نفسه بجمعه بينهما بقوله في عدة قصائد:

*قالت: فما اخترتَ في دينٍ تفوز به؟ فقلت: إنّي شيعي ومعتزلي[٦]

*العدل والتوحيد كلّ معاقلي و ولاء آل الطهر حِلّ حصوني[٧]

*لوشُقَّ عن قلبي يُرى وسطه سطران قد خُطا بلا كاتبِ

العدل والتوحيد في جانبِ و حبُّ أهل البيت في جانب[٨]

و أما نسبته إلى الزيديه : فقد جاءت هذه النسبة من اثنين:

الأوّل: أبو حيّان التوحيدي من المتقدمين، فقد قال في كتابه «الإمتاع والمؤانسة»[٩]: إنّ الصاحب (كان يتشيّع لمذهب أبي حنيفة ومقالة الزيدية).

---

١. لسان الميزان: ١ / ٤١٦ و ٤١٣
٢. لسان الميزان: ١ / ٤١٦ و ٤١٣
٣. معجم البلدان: ٢ / ٢٧٦
٤. ديوان صاحب بن عباد:١٦٩ و ١٨٢ و ٣٩ و ١٢٩ و ١٨٤
٥. ديوان صاحب بن عباد:١٦٩ و ١٨٢ و ٣٩ و ١٢٩ و ١٨٤
٦. ديوان صاحب بن عباد:١٦٩ و ١٨٢ و ٣٩ و ١٢٩ و ١٨٤
٧. ديوان صاحب بن عباد: ١٦٩ و ١٨٢ و ٣٩ و ١٢٩ و ١٨٤
٨. ديوان صاحب بن عباد: ١٦٩ و ١٨٢ و ٣٩ و ١٢٩ و ١٨٤
٩. الأمتاع والمؤانسة: ١ / ٥٥

الثانى: الدكتور ناجي حسن من المعاصرين، فقد ساق في مقدمة الكتاب الذي اختلقة ونسبه إلى الصاحب بن عبّاد وسمّاه بـ(الزيديّة)، ساق أدلة لاثبات زيدية الصاحب، قال في ص ١٣:(و ليس أدلّ على زيديته من تصدّر علماء الإماميّة في الرّد عليه، وفي مقدمتهم الشيخ المفيد الذي كتب كتاباً باسم (النقض على ابن عبّاد في الإمامة) والمرتضى في كتابه (الانصاف في الرد على ابن عبّاد). وما كتاب الزيدية الاّ دليل آخر يدعم ما ذهبنا إليه ويدفع الشكوك المتعلّقة بعقيدته، وهو خير أثر لزيديته)

أقول أولاً: دعواه (و ليس أدلّ على زيديته من تصدّر علماء الإماميّة...)فمردودة:

أمّا كتاب الشيخ المفيد،فيدور البحث فيه عن أمور تتعلّق بالإمامة، ومالها من الخصائص والمواصفات، وكم له نظير بين مؤلّفات الإماميّة، فقد يكون الرجل شيعيّا امامياً وبرغم ذلك له مناقشات حول بعض ما يتعلق بالائمة من دون أن تسلبه تلك المناقشات نسبة الإمامي الاثناعشري عنه. هذا فضلاً عن أنّ في تسمية الكتاب اختلافاً فقد قال عنه الشيخ آقا بزرگ الطهرانى:(و في بعض النسخ: النقض على عليّ بن عبّاد في الإمامة)[١]

أمّا كتاب الشريف المرتضى فهو أيضاً لا علاقة له بمذهب الصّاحب، بل كما قال عنه الشيخ آقا بزرگ الطهرانى نقلاً عن كتاب «اليقين» للسيّد ابن طاوس: (إنّ الشريف المرتضى ردّ في هذا الكتاب على الوزير الصاحب إسماعيل بن عبّاد في تعصّبه للجاحظ)[٢]، وعليه فلا علاقة للكتاب المذكور بمذهب الصاحب ﷺ.

وثانياً: دعواه (وما كتاب الزيدية إلّا دليل آخر يدعم...) فمردودة أيضاً، لأنّ الكتاب المشار إليه ليس للصاحب وإنّما هو لأبي طالب يحيى بن الحسين بن محمّد بن هارون ابن حسين بن محمّد هارون البطحاني الحسيني الهاروني، المشهور بالناطق بالحقّ، والمتوفى حدود سنة ٤٢٢ هـ وهو من أئمّة الزيديّة بطبرستان، وكان أول أمره امامياً ثمّ انتقل إلى الزيديّة، وقد روى الشيخ الطوسى عن شيخه المفيد، قال: (سمعت

١. الذريعة: ٢٤ / ٢٨٨
٢) الذريعة: ٢ / ٣٩٥

شيخنا أبا عبدالله أيّده الله يذكر أن أباالحسين الهاروني العلوي كان يعتقد الحقّ ويدين بالإمامة، فرجع عنها لما التبس عليه الأمر في اختلاف الأحاديث، فترك المذهب ودان بغيره لما لم يتبيّن له وجوه المعاني فيها)[١]. ومن مؤلّفات هذا الرجل كتاب (الدعامة في تثبيت الإمامة) كتبه رداً على الإماميّة وتثبيتاً لإمامة زيد بن علي عليهما السلام، وقد ورد عنه نقول في بعض المصادر، منها ما نقله ابن نشوان الحميري في كتابه «حور العين»، ومنها ما نقله ابن المرتضى، وهذه النقول بعينها موجودة في الكتاب المسّمى (نصرة المذهب الزيديّة) الذي طبعه الدكتور ناجى حسن أولاً بهذا الاسم، ثمّ طبعه ثانياً باسم آخر وهو (الزيدية) ونسبهالى الصاحب بن عبّاد خطاءً وجهلاً أو عمداً، وقد ردّ عليه عبدالسلام بن عباس الوجيه، المفهرس الزيدي والخبير بتراث الزيديّة وأخبارها ورجالاتها، ونقل عن محمّد يحيى سالم عزّان حول هذاالكتاب:

(كتاب «الدعامة في الإمامة»: قال محقّق «الفلك الدّوار»: قام بتحقيقه الدكتور ناجي سالم، ولكنه لم يوفّق إلى ما يلزم على المحقّق التأكد منه، من التأكد من اسم المولف واسم الكتاب، والمقابلة على النسخ المخطوطة، فسمّاه أولاً (نصرة المذاهب الزيديّة) ثمّ نشره ثانياً بعنوان (الزيديّة) ونسبه إلى الصاحب بن عبّاد، ومازال مشوباً بالكثير من الأخطاء المطبعيّة والاملائية والتاريخيّة، ولو تأمّل في المصادر التي رجع إليها لعرف مافات، ومخطوطة «الدعامة» بأيدينا وله شرح لطيف للحافظ العلّامة عليّ بن الحسين الزيدي سمّاه «المحيط بالإمامة»، وشحنه بالأحاديث المستندة والروايات المفيدة)[٢]

و عليه ، فدعوى الدكتور ناجى حسن بأنّ الكتاب للصاحب، ويثبت من خلاله أنّه زيدي باطلة جملة وتفضيلاً، بل الأدلة مطبقة على أنّ الصاحب شيعي امامي اثنا عشري، وأقوى شاهد على ذلك ـ فضلاً عن النقول المتواترة والنصوص الصريحة على ذلك ـ ديوان أشعاره فقد ملأها بقصائد وابيات صريحة في ولائه لآل البيت عليهم السلام وذكر الأئمة الأنثي عشر، دون الاشارة ولو لمرّة واحد للشهيد زيد بن علي عليهما السلام أو غيره من

١. التهذيب: ١ / ٣٠٢

٢. الفلك الدوار في علوم الحديث والفقه والأثار: تحقيق:محمّد يحيى سالم عزّان،صعدة، ١٤١٥ق، ص ٦٤ الهاش الأوّل.

أئمّة الزيدية ودعاتهم،وقد ذكرنا نتفاً منها آنفاً.

٣ ـ **رسالة التذكرة لأصول الخمسة**: من مميّزات هذه الرسالة التي تتفرّد بها عن سائر الرسائل المطبوعة في هذه المجموعة ، أنّها رسالة اعتقادية تجمع بين عقائد الشيعة الإماميّة وأصول المعتزلة الخمسة، فمراد المصنّف من الأصول الخمسة المذكورة في عنوان الرسالة هي التي يشترك المعتزلة في اثنين منها مع الشيعة الإماميّة وهما التوحيد والعدل، وهما الأصول الثلاثة الاخرى وهي: الوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،فهي أصول تختصّ بها جميع المعتزلة ـ فضلاً عن الأصلين الأولين ـ دون الإماميّة، وعليه فهذه الرسالة من هذه الناحية يمكن عدّها من النصوص الرائعة المتضمنّة لخلاصة فكر الاعتزال في القرن الرابع الهجري.

و لم ترد ذكر لهذه الرسالة ونسبتها إلى الصاحب في المراجع القديمة،لكن النسخ المخطوطة المتوفرّة منها صريحة في نسبتها الى الصاحب ،منها النسخة التي بخط الشيخ شرف الدين المازندراني، تاريخ كتابتها سنه ١٠٥٥ هـ كما شاهدها الشيخ الطهراني (الذريعة: ٤ / ٢١) ، وأيضاً النسخة التي اعتمد عليها العلّامة المحقّق الشيخ محمّد حسن آل ياسين في تحقيقه لهذه الرسالة (المطبوعة في مجلة المورد سنة ١٣٩٣ هـ ج ٣،ع ٢ / ٢٣٦، حسب ما قاله مفهرس مخطوطات مكتبة المجلس الشورى الإسلامى: ج ٣٢، ص ١٩) لكنني لم أقف عليها

اعتمدتُ في هذا التحقيق على النسخة الموجودة ضمن مجموعة برقم ١٠٠٦ من مخطوطات (كتابخانه مجلس شورای إسلامي): ج ٣٢ / ص ١٩ ، وهي بخط نسخي من خطوط اوائل القرن الرابع عشر الهجري.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الواحد العدل، وصلاته على النبيّ وخيرة الأهل.

الأصول الخمسة: التوحيد والعدل والصدق في الوعد والوعيد والمنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فضّ المقالة النظر لأنّ بالتدبير والتميّز يعرف الصحيح من السّقيم، قال الله تعالى: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾ ، وقال عزّ وجلّ: ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾، والتقليد فاسد لأنّه يوجب أن يعذر الله جميع المبطلين الّذين قلّدوا آبائهم الظالمين، ألا ترى أنّ الله تعالى ذمّ الكافرين بقوله تعالى: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ**﴾ والعالم مُحْدَثٌ كائن بعد أن لم يكن ، لأنّ جميعه فيه أثر الصنعة من طول أو قصر وصغر وكبر وتربيع واستدارة وزيادة ونقصان ، وتغيّر من حال ، إلى حال واستبدال ليلٍ بنهار ، كما قال: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾، والله تعالى خالقه[1] ومنشئه ومصوّره ومبدئه ، لأنّ الصنع لابدّ له من قابل كالكتابة لابدّ له من كاتب والبناء لابدّ له من بانٍ، قال الله تعالى: ﴿**خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ**﴾، وهو تعالى واحدٌ لا قديم معه ولا إلهٌ سواه ، إذ لو جاز إثبات اثنين لما امتنع من إثبات ثالثٍ ورابع إلى ما لا نهاية له، ولجاز أن يتوهّم كيف يختلفان ويتغالبان، وفي تجويز الغلبة لأحدهما إثبات العجز. والإله لا يكون عاجزاً كما قال عزّ اسمه: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا**﴾، وهو عزّ وجلّ قادر لأنّ مَن ليس بقادرٍ لا يصحّ أن يعلم وهو عالم، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿**كَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**﴾، وهو حَيٌّ لأنّ

١. في الاصل: خالق

من ليس بحيّ لا يصحّ أن يكون عالماً قادراً كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿**اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾، وهو تعالى عالم بنفسه لا يحتاج إلى علم يعلم به، قادرٌ بنفسه لا يحتاج إلى قدرة بها يقدر، وحَيٌّ بنفسه لا يحتاج إلى حياة بها يحيى، لم يزل كذلك، ولا يزال كذلك إذ لو أثبتنا معه فيما لم يزل علماً وحياة وقدرة لكنّا قد أثبتنا أكثر من قديم واحد، والله تعالى كما وصف نفسه أحدٌ صَمدٌ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ولا يشبه شيئاً ممّا خلق، إذ لو يشبهه لكان في الحاجة والغضب والافتقار إلى صانع مثله،[و]ليس كمثله شيء. ولا يجوز أن يكون جسماً ولا جسداً ولا شخصاً ولا ذا جوارح أعضاء[و] وجوانح، فيدلّ الطول والعرض والعمق والتأليف على كونه مُحْدثاً. ولا يجوز أن يكون متحرّكاً أو ساكناً أو صاعداً أو نازلاً أو حالّاً في محلّ قاعداً أو قائماً، فتدلّ هذه الصِّفات على كونه متغيّراً منتقلاً مخلوقاً كما دلّ إبراهيم عليه السلام على أنّ الشمس والقمر والنجوم ليست بآلهة، كما تغيّرت وظهرت واستقرّت وتحرّكت وسكنت، قال الله عزّ وجلّ: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً**... إلى قوله: ﴿**وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ**﴾، والقرآن كلام الله ووحيه وتنزيله تكلّم لا بآلة كما يتكلّم المخلوقين، بل بكلامٍ أحدثه وأنشأه وخلقه، ومعنى خَلَقه قدّره إذ لو كان الكلام من القرآن وغيره قديماً معه لأدلّ ذلك بالتثنية والخروج عن جملة التوحيد، وقد أجمع المسلمون على أن لا قديم إلّا الله، وقد أخبر الله أنّ القرآن مُحْدَث فقال: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ**﴾، قال: ﴿**مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ**﴾، وليس يصحّ على الله تعالى درك الأبصار، [لا] لأنّه تعالى حجبنا عن رؤيته، بل لأنّه عزّ اسمه في ذاته غير مرئيّ، كما أنّه في ذاته غير مشموم ولا مذوق ولا ملموس ولا مسموع، ولو رُئي بالأبصار لكان جسماً أو هيئة جسم، كما أنّه لو سمع بالآذان لكان كلاماً أو صوتاً أو شمّ بالآناف، لكان رائحةً، أو ذوق بالأفواه لكان طعماً كما قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿**لَنْ تَرَانِي**﴾ وكما

قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، ولو جاز أن تُدركه الأبصار في الدُّنيا أو تُدركه في الآخرة لجاز في قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، وفي قوله: (لَمْ يكُنْ له شَرِيْكٌ) أن يكون في الدُّنيا دون الآخرة. أمّا قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فالقول فيه ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: « إنّها منتظرة إلى ثواب ربّه »اكما قال الفقير: إنّما أنظر إلى الله وإليك أنتظر فضله وفضلك.

القول في العدل

إنّ الله عَدْلٌ حكيم كما قال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ و ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾، خلق العباد والعقلاء جميعاً للطّاعة ، إذ ليس بحكيمٍ من أنشأ عبيده وقصده في إنشائهم أن يعصوه كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. وأمّا قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ فهذه لام العاقبة، ومعناه ذرأنا وعاقبتهم إلى النار كما قال: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾ وهم إنّما التقطوه ليكون لهم قرّة عين، فأخبر بما عاقبته إليه، وما كلّف أحداً شيئاً من الأفعال إلّا وأزاح علّته في قدرته وآلته واستطاعة الفعل قبل، كما أنّ اليد قبل البطش والعين قبل النظر، ولو كانت الاستطاعة مع الفعل ، لكان تكليف الذي لم يفعل الإيمان لا يستطيعه وقد كلّف الإيمان وقد كلّف ما لا يطيق، تعالى الله عن ذلك كما قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وأفعال العباد وطاعتها ومعاصيها هم يخترعونها ويؤخذون بها، وكذلك يحمدون على حسنها ويذمّون على سيّئها، ولو كان الله تعالى خلقها لما جاز أن يثيبهم ويعاقبهم عليها ويأمرهم وينهاهم عنها، كما أنّه لمّا خلق الطول والقصر وسواد الزّنج وبياض الرّوم لم يجز أن يذمّ على ذلك ولا يعاقب ولا يأمر به ولا ينهى عنه ،كما قال تعالى في تصديق ذلك: ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ

﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ردّاً على المذجْبرة الذين يزعمون أنّ معبودهم خالق الزِّنا وفاعل الكذب ومخترع القيادة ومنشئ السرقة وهم يكرهون ذلك، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾.

ونقول: الخير والشرّ من عند الله ونريد به الحياة والموت والغنى والفقر والعافية والسّقم والخصب والجدب، فأمّا القبائح والفضائح فلا تكون من أحكم الحكماء.

ونقول: حسناتنا من الله ليس بمعنى أنّه فعلها ، ولكن أعان عليها وهدى إليها وأمر بها وأراد فعلها كما يقول الانسان للعالم الذي أخذ عنه: جميع ما أحسنه منك. كما قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾.

ونقول: سيّئاتنا من الشيطان ليس بمعنى أنّه فعلها ، ولكن وسوس بها وحسّنها وزيّنها ودعا إليها كما قال عزّ وجلّ: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾.

ونقول: الله عزّ وجلّ مريدٌ للطّاعات والحسنات وكارهٌ للمعاصي والسيّئات ، لأنّ الحكيم يحبّ الحَسن ويكره القبيح ،كما قال ردّاً على المُجْبِرة الذين يزعمون أنّ معبودهم يشمّ ويشرك ويدّعى الصّاحبة والولد: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ولا عسر أعسر من الكفر كما قال: ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾، وكما يقول: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾، وكما قال في كراهة المعاصي: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾، وقال: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾، والله تعالى يريد بإرادة مُحْدَثة، وقال ردّاً على المُجْبِرة الذين قالوا لم [يكن] مريداً: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وإذا يدخل المستقبل كما قال: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾.

ونقول: إنّه تعالى يهدي العقلاء إلى الطّاعة ، بمعنى أنّه أوضح الطريق وبيّن

الدليل وحسّن الطّاعة وقدّم الاستطاعة، وكما قال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾؛ لأنّه إذا لم يهدهم إلى ما أمرهم به لكان في حكم الظالم لهم، والله لا يظلم مثقال ذرّة.

ونقول: لن يضلّ أحداً من الناس يعني عن الدِّين، لأنّ ذلك من فعل الشياطين والفراعنة الّذين ذمّهم الله بكونهم مضلّين ، فقال تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُمْ السَّامِرِيُّ﴾ وقال: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ وقال: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً﴾.

ونقول: إنّ الله يهدي ويضلّ بمعنى أنّه يهدي الذين اهتدوا بالطّاعة إلى الثواب، وبمعنى أنّه يضلّ عن الثواب [الذين] يستخفون بفسقهم كما قال: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾، وأطفال المشركين في الجنّة لأنّ الحكيم لا يأخذ أحداً ، بوِزر غيره قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

ونقول : إنّ من أطاع الله في اجتناب الكبائر وأداء الفرائض ومات بِرّاً فهو في الجنّة، وكذلك من ارتكب الذُّنوب صغيرة كانت أو كبيرة وختم أمره بالتوبة، فأمّا من قتل النّفس وشرب الخمر وقطع الطريق ومات ولم يتُب ، فهو ممّن يصلى النار ولا يغيب عنها كما قال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾، وبيّن أنّ الخُلف لا يجوز في وعده ، يقول: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ تبديلاً، وقال: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وقد بيّن بقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ ومن ارتكب الكبائر من أهل القبلة فإنّا لا نطلق به الكفر كما زعمت الخوارج ، إذ لو كان كافراً لما صُلّي عليه ولا ورثه المسلمون، ولا نقول إنّه مؤمن لأنّ صفة الإيمان صفة تشريف وتعظيم، ومرتكب الكبائر مُهانٌ ذليل، ونقول إنّه فاسق وذلك منزلة بين المنزلتين، فمحال أن يكون الرّجل في حالة مؤمناً فاسقاً عدوّاً لله وليّاً، قال الله عزّ وجلّ: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجبان بقدر الاستطاعة (الطّاعة)، فإن انتهى عن المنكر بأخفّ الأمور وإلّا وجب الارتقاء إلى أعظمها متى استطعنا، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ﴾.

ونبوّة نبيّنا ﷺ ثابتة بالمعجزات التي صحبته، والله أحكم أن يجعلها على أيدي الكاذبين، فمنها: أنّ القرآن الذي جاء به إلى أفصح العرب فعادوه ونابذوه ولم يمكنهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سورٍ وهو يتلو عليهم، مع بغضهم له ومحاربتهم إيّاه، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾، وقال: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾، هذا مضافاً إلى ما صحبه من تكلّم الذّراع المشوي له، وتسبيح الحصى في يده، ومجيئ الشجرة حين دعاها إليه.

وخيرة النّاس بعده من اختاره لأخوّته عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لاجتماع الجهاد والغزو والعلم والزّهد والسابقة فيه، وهذه الخصال مفترية في غيره، قال عزّ وجلّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾، وقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، وقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

تم المختصر المفيد.